رجل في الظلام..رواية بول أوستر في الميزان النقدي

ترجمة:ابتسام عبد الله

بول اوستر

صدرت للكاتب الامريكي بول اوستر رواية جديدة بعنوان "رجل في الظلام" اثارت الاهتمام في الولايات المتحدة الامريكية، ولأوستر عدة اعمال روائية ومجموعات قصصية معروفة اشهرها، ثلاثية نيويورك وايضاً المفكرة الحمر وتيمبكو.

صفحات الكتب في الصحف الاجنبية تتحدث بالتفصيل عن هذه الرواية اخترت ترجمة مقالتين عنها الاولى للناقد ستيفن ابيل . في الملحق الادبي لصحيفة التايمز والثانية للناقد ريتشارد ايدر في النيويورك تايمز.

كتب نورمان ميلر يوماً عن صامويل بيكت : انه لا يزج نفسه في حالة قد يحاول أي واحد من مجموعته الخروج من مصيدة ما وقعوا فيها، ان اعماله تستحوذ على اهتمام المرء ولكنها لاتتواصل معه".

هذا الكلام ينطبق على بول اوستر التي تستحوذ اعماله الادبية على الاهتمام ، لأنها تتعامل مع مشاكل اينة دون ان يجد الحلول لها. فهناك مصادفات ، فقر وفي معظم الاحيان، مشاكل ناجمة عن الكتابة ايضاً.

ومن السخرية ان الهاجس الاخير الذي كان موضوع روايته الاخير، أدت الى الهبوط بمكانته بالنسبة للمقياس الامريكي ، لقد

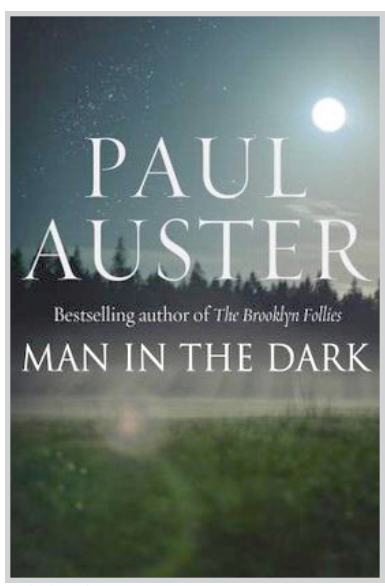

غلاف الرواية

أخضع اوستر اعماله لاسلوب مابعد الحداثة وهذا ماظهر واضحاً في روايته رحلات في غرفة النساخ ٢٠٠٧ ، حيث مؤلف يدعى(السيد بلانك) ولكن لندعه اوستر) ، يجابه مجموعة من ارواح لا اجساد فيها وهي اشباح شخصياته الروائية ، والتي تقوم باحتجازه رهينة في غرفة خالية، وقد عبر الكاتب عن ذلك بقوله" ان العالم قد تقلص الى حجم غرفة واحدة، أو "حجيرة محشوة" وكانت ايضاً رواية لايجد فيها القارئ لمحة من فرح وبالتأكيد (كما هو الامر دائماً مع مقاربة مع ابعد الحداثة) كأن هناك عنصر الاخلاص ايضاً: ان على الروائي ان يكون شاهداً على الحالة البشرية فيما يخص الوعي بالذات ، انها عملية عبر عنها ايمرسون، يوضع الانسان في سجن من قبل ضميره، وعندما يبذل اوستر جهداً من الحفاظ على مكانته الادبية ، فهو يقوم بنفس الشيء الذي يقوم به أي واحد من اجل الحفاظ على هويته.

ان كانت مابعد الحداثة سجناً يمكن دخوله بحرية، فعلى الكاتب التأكد من قدرته على النظر دائماً الى الخارج ايضاً، وعندما يكتب بول اوستر عن الكتابة فقط فانه يزيل علاقته بالعالم اخارجي معتمداً على سيادة جوهر عقله وروحه وصرامة دواخله، مجرباً لخطة طويلة من الاستغراق الداخلي الروحي والتي دامت وبشكل مشتت حوالي عشرين سنة، ومن حسن الحظ ان "رجل في الظلام" على الرغم من النظرة المبدئية اليها، تبدد الكآبة الداخلية، فهي تتحدث عن اوغست بريل (منظره الخارجي لايدل عليه) ناقد ادبي في الثانية والسبعين من عمره يعيش خارج غير مونت مع ابنته البالغة السابعة والاربعين وحفيدته ٢٣ سنة، اما زوجته فقد توفيت قبل عام وزواج الابنة قد هجرها منذ خمسة اعوام وصديق حفيدته قتل".

يمضي بريل الليل ساهراً بسبب الارق حتى وقت متأخر ، انه النموذج المثالي لبطل اوستر، دائماً وحده في الظلام ، متأملاً يرد القصص لنفسه.

القصة المركزية في الرواية تدور حول اوين بريك الذي يستقيظ صباح يوم من الايام ويكتشف انه في امريكا مشلولة، حيث ادت انتخابات ٢٠٠٠ الى انفصال ١٦ ولاية امريكية لتكون الولايات المستقلة الامريكية، وهي الان في حرب مع ما تبقى من الولايات المتحدة ، لقد تم ابلاغه ان مهمته هي إنهاء هذه الحرب وذلك بمساعدة الرجل الذي كان السبب في نشوبها ، وبدون أي دهشة نجد ان ذلك الرجل هو كاتب يدعى اوغست بريل، الذي يعيش في امريكا الاخرى" وكل ما يحدث او يوشك ان يحدث موجود في رأسه. تخلص من هذه الرأس وتتوقف الحرب.

الميزة الكبرى للرواية ولأوستر ككاتب قد انكشفت في تلك العبارة الاخيرة.

في الحقيقة ان تجارب اوين بريك تم وصفها باسلوب الاثارة ، او على طريقة فيلم (اكشن) ، فالمؤلف يعرف ان الافلام تسطح الحياة ، حيث ترد القصة ببعدين وتردد هذه صدى هذه المقاربة بتركيباتها السريعة مانحة خلفيات واضحة مع سرعة في نقل ما يحدث علامات من حياة سابقة ، منازل محترقة محال بقالة منهارة ، كلب ميت عدد من السيارات المتفجرة ، صراخ عدد من الاشخاص.

"رجل في الظلام" لايتحدث عن اوغست بريل فقط ومحاولته للوصول الى تفاهم مع احزان عائلته ، ولايتحدث عن اوين بريك ومحاولته قتل اوغست بريل ، ولكنها ممتلئة بكل انواع القصص التي يمكن ان تتخيلها. ولهذا فان النص يطفح بمختصرات حبكات افلام قديمة، (سارق الدراجات وقصص حرب ومايشبهها) وسط الاجواء المظلمة التي تحيط بالرجل) لاتدل على السلوان والنسيان بل على الخلق والابداع. فالتقليل من الانارة في قاعة ما يتيح المجال لتأمل الصورة بصورة افضل من بعض الاحيان.

افضل ما في هذه الرواية ، انها على الرغم من ادوات التصنع الموجودة فيها ، تكشف عن شيء ما من الحقيقة ذي الابعاد الثلاثة ، او مايدعو جون ابرايك بـ الدم وعصر الانسان ، عن الحياة خارجها، وكما كتب اوستر في" الحجرة المغلفة" . ١٩٨٧ الظلمة وحدها تمتلك قوة تجعل الرجل يفتح قلبه للعالم" ، وقد يعني ذلك اننا نجد في رواياته ان القلب اهم من الراس وهذا الامر يظهر بوضوح عندما يتحدث عن موت صديق حفيدته ويشبهه بالموت الفظيع لتيتوس. ويأتي ذلك في نهاية الرواية تقريباً عندما يشاهد فيها يصور قطع رأس صديق حفيدته، في العراق فيكتب :" تيتوس لم يعد رجلاً ، انه يصبح فكرة انسان، انسان ليس انساناً ، شيء ميت ينزف دماً.

هذه هي الحقيقة الكامنة خلف الرواية التي تكشف عن حاجة الانسان الى سرد قيم من اجل اعطاء بنية للتجربة السيئة: اننا نحتاج الى حياة ساكنة لجعل الاحساس بالحياة ساكناً رجل في الظلام ليست اذن مجموعة قصص فقط ولكنها تبرر ايضاً اسلوب بول اوبستر في السرد عبر الاعوام الماضية انها تناقش كما قال الكاتب ذات يوم: لا فاصل بين الحياة والكتابة، والحياة يجب ان تعاش في حميمية الجسد والدم الذي يجري عبر عروق المرء، انه نوع من العمل الذي يؤكد الحياة، انه ما بعد حداثة ، ولكن هذه المرة مع نبض يتردد.

وكتب الناقد لوتاها نسن في النيويورك تايمز عن الرواية.

بعد نشوب الحرب الاهلية بين الولايات الـ ١٦ الزرقاء ، في عهد بوش ، تقوم الولايات الحمر بدعم السلطة الفيدرالية تبدأ الرواية وقد قتل ١٢ مليوناً من الامريكيين بريك سامرمن مدينة نيويورك ، يتآمر مع قيادة الزرق لوضع حد للحرب وذلك باغتيال الرجل الذي اشعل نارها وواصل ادامتها.الرجل في الرواية ليس جورج بوش، فهو ناقد ادبي يدعى اوغست بريل يلازمه الارق ويكتب القصص.

بدأ بول اوستر الكتابة منذ اكثر من عشرين عاماً ويعتبر واحداً من افضل الكتاب (مابعد الحداثة) في امريكا وحقق ايضاً مكانة جيدة في الدوائر الادبية الاوروبية ، حيث تتقدم الخصائص الفنية بالنسبة اليهم على الناتج الادبي.

ان لغز رجل عليه ان يقبل الرجل الذي خلقه ، وهي نسخة من عدة نسخ لما كتبه، المسرحي الايطالي لويجي بيراندييللو قبل قرن من الزمن تقريباً وشخصياته في (ست شخصيات تبحث عن مؤلف) تتجاوز مسرحيته وتتقدم لتوجيه الاتهامات اليه. وبينما نجد في شخصيات بيراندييللو شيئاً من الانسانية فان شخوص بريل فارغتين منها، انهم مجرد قطع من الشطرنج يؤدون ادوارهم حسب القوة المسيطرة عليهم ، وحتى بطله بريك ، الذي يحركه اماما وخلفاً مابين العالم المخرب بالحروب والعالم الاخر الطبيعي الموازي له (حيث يريد ان يكون ان يتوجب عليه قتل بريل).

تتابع الاحداث بالنسبة لبريل يسرد بشكل بارع على الرغم من الافتقاد الى اسلوب جديد انه يتناول برقة الخلافات بين الليبراليين و المحافظين. "امريكا في حرب ، حسن جداً" هذا ما تقوله احدى الشخصيات لبريك ، وهو في الجانب الامن من العالم، نحن هنا لانحارب الان فقط، ليس بعد على أية حال".

وقبل ان تعمل الشخوص ضد لعبة المؤلف ، تصل الى نتائج متعددة منطقياً ، ينهي بريل الامر ليحكي قصة تقليدية لمح اليها من قبل ويجلس طوال الليل على كرسيه المتحرك متأملاً الخراب.

يتحدث بدءاً من ان موهبته في الكتابة قد تشتت ويحكي عن الاف الكميات التي كتبها وعن الاف كلمات النقد عنها ، انه مثل عداء في سباق قصير وليس كاتب مسافات طويلة. ان اللامبالاة حملته الى طريق جابني في محاولة لاستعادة ذكرياته، لقد هجرته زوجته منذ اعوام بسبب علاقته مع امرأة شابة، وبعد عودتها اليه تموت وهو يحس بالذنب تجاهها.

ابنته مصابة بكآبة بعد طلاقها، اما حفيدته كاتيا فهي ليست افضل منهم يشلها الشعور بالذنب لان الحبيب الذي رفضته ، ذهب الى العراق وخطف والنفط له فيلم وهم يقطعون رأسه كما حدث كما دانيال بيرل، وهي تمضي اغلب اوقاتها مع جدها في مشاهدة ثلاثة افلام كلاسيكية يومياً.

بول اوستر كاتب لايؤمن بالترابط السردي مابين الفصول حيث يسود الالم والذي يتبدد فجأة في النهاية مع بزوغ الامل لمجرد شروق الشمس، الامر ليس محاكاة تهكمية ، انه نتيجة عدم الايمان بالقيم الروائية التقليدية..ان التصادم المتضارب قد فقد قوته والنتيجة عمل ضعيف ومتشتت.

بالأمس كانت الولادة
الأخبار الصحفية بوصفها رواية

مصطفى ناصر

يمكن لكل القصص الإخبارية المشوقة التي تنشر في الصحافة اليومية ان تتحول الى نوع أدبي مختلف عن الخبر الصحفي ، سواء كان ذلك قصة قصيرة او حتى رواية ما دامت تحظى فعلا باهتمام الملايين من البشر. عندما يقوم احد الصحفيين بالكتابة عن أخبار مثيرة فهو يسلط الأضواء عليها ويجلب انتباهنا اليها ، حيث يدخل فيها عناصر اخرى جديدة او يقوم بصياغات مختلفة ، مثلا يدخل ضمنها العديد من الشخصيات الحقيقية او المتخيلة ، يصور المظاهر الحياتية ، الملابسات الغريبة ، التفاصيل التي تتميز بالحيوية بحيث تبدو كأنها قد اكتسبت حياة من نوع اخر خارج نطاق الحقيقة.

يبدو ان الاهتمام عن قرب بالنسيج الزاخر الألوان للأخبار التي يدأب المراسلون الصحفيون على نقلها الى الصحف قاد غوردون بيرن لان يعطي اسم "رواية" لمجموعة مواضيعه الاستثنائية التي اختارها من ناحية عنصر الإثارة الذي يلفها ، تلك المواضيع التي غطى بها احدث سنة ,٢٠٠٧

يفتتح كتاب (بالأمس كانت الولادة) بلمسة أنيقة تمثلت في مواجهة قريبة مع الليدي تاتشر في حديقة باترسيا. ينقل السارد صورة دقيقة الملامح عن تلك المرأة الحديدية التي تحولت الى عجوز منحنية الظهر قليلا وقد ارتدت تجهيزات غريبة ، "معطف طويل مصنوع من شعر الجمل وحذاء قماشي مسطح مزركش بشريط زينة من النوع الذي يراه المرء في الدعايات ملحقا به اشياء كثيرة ملونة". تتأكد معرفته الأولية برئيسة الوزراء السابقة من خلال مراقبته الحذرة لسلوكها الذي يصفه بأسلوب واضح العبارة ، فهو يصف عادتها المستمرة في شد حزام حقيبة يد لا وجود لها . كانت الحقيبة تحتوي على سلاح صغير لحمايتها سابقا بحيث ان المرافقين لها نبهوها مرارا الى تلك الحركة ونصحوها بضرورة الكف عنها لأنها تثير الريبة. كانت أجواء الحديقة هادئة نسبيا ، بممراتها المتعرجة الضيقة وأكشاكها الكثيرة ، تثير في النفس السكينة بحيث تجعل القارئ يتساءل ان كانت تاتشر حقا تذهب في مثل تلك الجولات الرومانسية سرا من وقت الى اخر.

يمارس المؤلف طريقته تلك في التفحص الدقيق مع شخصيات اخرى مثل توني بلير وقد كان يرتدي بنطال الجينز الضيق في جولاته الخاصة ، غوردن براون في سترته المجعدة وابتسامته المشوبة بالقلق والحذر، جاكي سميث واختيارها الغريب لألبوم أغاني موريسي (أنت فريسة المطاردة) لكونه الألبوم المفضل لديها. يبدو بالنسبة للمؤلف ان السياسيين يستحقون هذا النوع من التقصي والمثابرة ، مثلما يفترض بيرن لانهم يشتركون في صناعة الخبر والصورة ، او مثلما قال بيتر مندلسون مرة "في خلق الحقيقة". يلف بيرن شريط الحقيقة هذه على غيره من الوقائع التي تتناقلها الأشرطة الإخبارية التي تصور أناسا عاديين من الحياة اليومية (عامل رزم امتعة في مطار غلاسكو على سبيل المثال) ويشير الى آخرين صادف ان كانوا قريبين من الحدث الذي يستحق ان يرد في الصحافة فإذا بأسمائهم تصبح بين ليلة وضحاها على الألسن وتنتشر أخبارهم دون سواهم: كلارنس ميتشيل مقدم نشرة أخبار العاشرة في التلفزيون البريطاني ؛ تانيا بايرون العالمة السيكولوجية التي تعمل مستشارة للحكومة ، والسر ديفيد نابلي وغيرهم.

أحيانا كان المؤلف يتطرق في "روايته" تلك الى الكثير من الملاحظات العابرة عن أناس عاديين من الشارع لم يسبق لأحد ان عرف شيئا عنهم وأماكن كثيرة من شأنها ان تديم زخم الأحداث: فتاة تتفرج على مجلات مشاهير الفن وتشتري الكثير من الشوكولاته في سوق تشيلسي التجاري. ويدعم الصور التي يخطها بقلمه بقوائم مفصلة عن أماكن مثل مايروبيلا الدائرة الانتخابية لبلير ، منتجع مارك وارنر ونادي تايغر الليلي في ويست ايند الذي انفجرت خارجه قنبلة في حزيران ,٢٠٠٧

كل هذا من شانه ان يعطي صورة لبريطانيا اليوم ، مكان يشغله تلفزيون الثقافة السطحية، صحفيون ومصورون يركضون وراء الشخصيات المهمة للحصول منهم على قصص مشوقة ، صيف مشوب بالقلق من قنابل الإرهاب ، فيضانات وأمراض. يجري تعزيز بناء كل تلك النتف الإخبارية من خلال شبكة من الروابط غير المرئية ، لمسات حقيقية ومختلقة تربط تلك القصص المستمدة من أشرطة الأخبار. ثمة مزيج غير متجانس من الإشاعات والغمز واللمز والرسائل الخفية التي تفوح منها نكهة تحالفات سرية مشبوهة تجري بين السياسيين.

تتكدس جمل بيرن القاسية في صراحتها فوق بعضها وهو ينتقل بين سرديات يستخدم فيها صيغة الشخص الأول تارة والثالث اخرى ، واقتباساته الكثيرة من أقوال مشاهير المفكرين واندفاعه المفاجئ لاستعمال اللهجة العامية مما يجعل آراءه في الأحداث التي سرد تفاصيلها في كتابه عن ما حصل سنة ٢٠٠٧ قابلة للإقناع. عندما يتخفف التوتر الذي يطفو على سطح الأحداث نرى ان أسلوبه يتراخى ايضا. كان الفصل الذي كتبه عن داميين هيرست وقلنسوته المرصعة بالجواهر وتأملاته عن مادلين ماكان خاليا من الضغينة لكنه بحاجة الى توازن لانه يأتي بمعلومات غريبة. بصورة إجمالية يعتبر الكتاب كتقرير ونص شيئا مبتكرا يثير التأمل. ربما يكون هذا هو شكل رواية المستقبل: مجموعة من النقاط المنفردة المتناثرة كأنما على شاشة الكومبيوتر، أشكال براقة حادة تحل محل القصة قديمة الطراز التي تروى بصيغة المتكلم التي اعتبرت لغاية هذا الوقت العلامة البارزة على مصداقية القصة.

شعرنة النص في (مطر اشقر)

قراءة في مجموعة د.أفضل فاضل القصصية

سلام دواي

في نهايات القرن العشرين أنفتحت اساليب القص على اشكال مختلفة وقلقة اخرجت فن القص من القوالب الكلاسيكية ذات القواعد الصارمة المعروفة واطلقتها في اشكال اخرى ياخذ التصوير الشعري فيها مساحة كبيرة من ارضية السرد ، ولعل اهم هذه الأشكال واكثرها حضورا في النتاج الثقافي هو النص المفتوح الذي نحى جانبا القواعد المتعارف عليها في البناء القصصي ليتحرر منسابا من قواعده كما تنساب قصيدة النثر.

ولكن في (مطر اشقر)المجموعة القصصية للشاعر والقاص د. أفضل فاضل تحافظ القصص على قواعدها الأساسية المعروفة بيد انتها تحرر اللغة من قيد الروي الواضح والمباشر والتقريري لتطلقها في فضاء من الوصف الشعري الذي ينشأ علاقات عنكبوتية مع الذهن لتقصي خطابية القصة ووضوحها الفج وتحددها في الأماكن التي تفرضها الضرورة الفنية ويتطلبها البناء في الأستهلالات والنهايات واحيانا في الذروة، وهي ضرورات يتطلبها وكما اسلفنا الشكل الفني للقصص، لتبقى الثيمات ثيمات مضاءة بالومض الشعري المتوصل، فمثلا في قصته(خريف مبعثر) الفائزة بجائزة كلية الآداب في الجامعة المستنصرية نقرأ هذا المقطع:-

(أحترقت ابتعادا عنك.....
ليلي موحش..
فراشي دبابيس
يقضمني
البرد في
فراش
كالقبر....
.....
غصت بالبكاء....
البحور.....تلتقي
الشواطئ.....هل تلتقي)

وهذا المقطع ليس الوحيد الذي احتوته القصة

ولكنني اخترته لوضوحه وعدم حاجته الى تدخل ، فهناك العديد من المقاطع لاتحتاج إلى سوى دخل بسيط لتنتمي بوضوح خالص الى قصيدة النثر مثل :- (الشمس الغاربة ، لون احمر بامتداد الأفق مشبوحة الأطراف كأمرة تقف الأشجار مشدوهة منثورة الشعر)

ان هذه الأنثيالات والتداعيات الشعرية داخل قصص افضل فاضل لم تنشأ عن الأغراقات التهويمية التي حفل بها النص المفتوح لسببين اثنين اولهما ان ما كتبه افضل فاضل في مطره الأشقر لايمكن ادراجه في اطار النص المفتوح لاحتوائه على جميع عناصر البناء القصصي والترتيب الصحيح لهذه العناصر كبنية وكشكل ادبي... وثانيهما قدرة الكاتب على توظيف هذه التداعيات الشعرية لخدمة الثيمة الأساس وهو توظيف فذ انطوى على قابلية فذة في التعاطي مع لغته الفخمة لأنشاء قص غني بالألتماعات والصور التي تغني الحدث وتعالجه برقي اسلوبي واضح ينطوي على معرفة دقيقة باساليب القصة القصيرة التي من اهمها القدرة على التكثيف والأختزال وتحميل العناصر على محمل لغوي انيق وشفاف وشديد الأيحاء.

ارى ان افضل فاضل في (مطر أشقر) ينحو منحا اسلوبيا راقيا في تفخيخ الوعاء اللغوي لقصصه بفخاخ ذهنية تنطوي على بعد انساني شفيف البوح غنيا بعواطفه الجمالية ...انها قصص جديرة بالمتابعة النقدية المتخصصة. وهذا يتوقف على خروج الكاتب من عزلته وكسله تكثيف عملية النشر .

حصاد المطابع

نخلة الروح

شعر: فراس عبد المجيد

عن مؤسسة التنوخي وأسفي بالمغرب صدر ديوان الشاعر والتشكيلي العراقي فراس عبد المجيد (نخلة الروح) وكانت رسوم الغلاف والداخل صور منحوتات برونزية للفنان العراقي طارق المعروف فيما قامت بتصميم الديوان جيبه الخطيب ضم الديوان مجموعة من القصائد المعبرة.

ثلاث عشرة قطة سوداء

يوري دميتريف
ترجمة / د. ابراهيم استنبولي

هذا الكتاب يسعى الى اكتشاف الحقيقة عبر الربط بين عناصر البشرية المتعددة وهو يحلل المعتقدات القديمة في شعوب متعددة داخل آسيا وافريقيا عبر ثلاث رحلات في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل ، كتاب اصدرته دار (المدى) عام ٢٠٠٨ وهو يستحق القراءة من الغلاف الى الغلاف.

المسرح في البصرة
مقاربات في المتحقق

تأليف ياسر عبد الصاحب

صدر عن دار الشؤون الثقافية ببغداد كتاب المسرحي الناقد ياسر عبد الصاحب كتاب (المسرح في البصرة) الذي حوي مجموعة اعماله النقدية عن مسرح البصرة في الفترة ١٩٨٦ . ٢٠٠١ وقد ضم تحليلات نقدية للتجارب المسرحية المتنوعة التي قدمت على مسارح البصرة والناصرية ما يشكل نبتاً تاريخياً نقدياً بالمنجز المسرحي البصري عموماً.

مراقبة الريح

شوزان كولن ماركس
ترجمة / فؤاد سروجي

عن الدار الاهلية في عمان صدر حديثاً كتاب س. ماركس (مراقبة الريح) بترجمة فؤاد سروجي وهو يحوي مجموعة دراسات عن حل النزاعات خلال اتصال دولة جنوب افريقيا من الصراع الاثني الى الديمقراطية بمتابعة تحليلية مباشرة لما جرى تاريخياً في الاسراع نحو التهدئة والتفاهم بين المتخاصمين وصولاً الى الصيغة الامثل في حل نزاع استمر سنوات طويلة صدر الكتاب (٣٠٤) ص بدعم من لجنة تنسيق المنظمات غير الحكومية في العراق.